

## اصل الانتخاب الطبيعي

ابا غير مرة ان مذهب تشود الانواع بعضها من بعض بواسطة الانتخاب الطبيعي قال به دارون وولس في وقت واحد لا لانهما استفهما في وقت واحد بل لانهما اشهرا معا . وقد كتب ولس يثبت ان الفضل في هذا الاكتشاف لدارون وان ليس له هو الأجزء صغير جدا منه . وهذا شأن انكرام الذين لا يحسون الناس اشياءهم ولا يتجولون ما ليس لهم . وكلام ولس في هذا الموضوع لما احتفلت جمعية لينوس الطبيعية به ودارون حري بان يكتب بياض الذهب

وقد اشرنا اليه في شهر اغسطس الماضي وذكرنا خلاصته ورواينا الآن ان ترجمه كله هنا قال . اني شاكر مجلس ادارة هذه الجمعية على الشرف العظيم التي انالتي اياه بقرتها اسمي مع اسم تشارلس دارون في هذا الاحتفال وطى الشرف الاعظم الذي نكته بتقليد صورتي مع صورة صانعي المجيد في الشأن الذي سمعني اياه

واني استحيكم بذكر بعض كلمات من حيث العلاقة التي كانت بين دارون وبني قبل شهر يوليو من سنة ١٨٥٨ وبعض ما يتعلق بي ويهتأمكن العلاقة بيننا ولا يخلو ذكره من لذة لاني لم اذكره قبلا

من حين مات دارون سنة ١٨٨٢ وانا اجد الكتاب يعزون اليه شيئا لا استحقه لانهم لا يعلمون ما هو نصبي الحقيقي من المذهب الداروني فقد قيل في الجرائد والمجلات انا اكتشفنا الانتخاب الطبيعي في وقت واحد وكل منا لا يعلم بما فعله الآخر . وبالغ بعضهم فقال اني انا السابق الى هذا الاكتشاف واني تنازلت عنه لدارون

ودفعنا لهذا الزم ارى انه يلقى في ان اقص واقعة الحال كما وقعت تماما ان الامر الوحيد الذي يربطني بدارون ولم ينكره احد علي هو ان فكرة الانتخاب الطبيعي او بقاء الاصمح وما يتبع عنها خطرت لي كما خطرت لدارون وكل منا لا يعلم ما خطر للاخر وانا اعلنا ذلك معا في وقت واحد امام هذه الجمعية منذ خمسين سنة

ولكن الامر الذي نيه الكتاب هو ان هذه الفكرة خطرت ببال دارون سنة ١٨٢٨ فلما خطرت ببالى بعشرين سنة . وان دارون قل كل تلك السنين يجمع الادلة التي تويدها مما كتب في علم الحيوان ونبات والزراعة ومن التجارب التي جربها هو نفسه والامور التي

شاهدنا كما يظهر مما انبث في كتابه «اصل الانواع» وفي كتابه الآخر الذي موضوعه الحيوانات والنباتات الاولية فانه جمع مواد ذبكت الكتابين وحققها ورتبها في تلك السنوات العشرين

وقد كتب دارون مجل آرائه في سنة ١٨٤٤ وأطلع عليها صديقه السرتشارلس ليل والسرجوزف هوكر قبلما خطر لي ان اهتم بدرس المواضيع الطبيعية . فطلع عليه السرتشارلس ليل ان بشر خلاصة آرائه بأسرع ما يمكن ثلاثاً يسبقه احد اليها اما هو فاني منفصلاً الانتظار الى ان يسنني له تنسيق كل ماجمعه في هذا الموضوع . ثم تم ما أنبأ به ليل فجاءه كتاب مني وفيه مقالة في هذا الموضوع فالتفت عليه كصاعقة من السماء واضطره حينئذ صديقه ليل وهوكر الى نشر مقالة منه في هذا الموضوع مع مقالتي وقرئت المقالاتان معاً في هذه الجمعية

فما اعظم الفرق بينه وبينى . هو درس الدرس الطويل واعد المدمات الكثيرة وعزم ان لا يشهر نتيجة عمله الا بعد ان يجمع له من الادلة ما لا يبق محلاً للريب . اما انا فخطر لي بيالي هذا الخاطر في طرفه عين ولم افكر فيه اكثر من ساعات قليلة فكشفته حيا فخطر لي حينئذ بكل تقاضيه وتطبيقاته ثم نسخت على ورق رقيق وارسلته الى دارون وحدث كل ذلك في اسبوع واحد وقد كنت مجرولاً كما هو دأبي دائماً . وطالب العلم انما يقصد تحقيق الامور التي يكشفتها لا الشهرة بها

هذا الذي جرى وانه ليرضي ان يكون نسبة نصيبي من هذا الاكتشاف الى نصيب دارون منه كسبة المدة التي قضيتها في تحقيقه الى المدة التي قضاها هو اي كسبة اسبوع واحد الى عشرين سنة . ولو اتقاد للجماعة احد قائمه ونشر اكتشافه بعد ما اكتشفته واشتغل في تحقيقه بثمان سنوات او خمس عشرة سنة او ثمان عشرة سنة لما كان لي فيه اقل نصيب ولا اعترف له الناس اجمع انه هو المكتشف الوحيد لنا من الانتخاب الطبيعي بكل نتائجه

حقاً اني موفق جداً باكتسابي شيئاً من غمر هذا الاكتشاف معاً كان قليلاً . ففي النصف الاول من القرن التاسع عشر وقبل ذلك ايضاً كان كثيرون من علماء الحيوان والنبات يبحثون في هذا الموضوع وارتأوا فيه آراء لا تكفي لجلده وبعضهم من اكبر العلماء عقلاً لكنهم لم يهدوا الى محجة الصواب . ولو لم يتأخر دارون في نشر اكتشافه ليزيده تحيصاً لما ابقى لي اقل شأن فيه

وهذا يفتح لي مجالاً للنظر في هذه المسألة وهي لماذا عجز كثيرون من اكبر العلماء عن اكتشاف هذه الحقيقة وخُص باكتشافها دارون وخصت بها انا . يظهر لدى البحث اننا

انا ودارون كنا متفقين في امور كثيرة عقلاً وملاسات وهذه الامور قادمة وقادتي الى اكتشاف الانتخاب الطبيعي معاً

واول هذه الامور انا ودارون كنا في صفرنا من المولدين يجمع الزيزان على انواعها . وليس بين الحيوانات ما يماثل هذه الحشرات في تعدد اشكالها وتنوع الوانها التي تمتاز بها انواعها ومناسبتها للاماكن التي تعيش فيها . وهذه الصفات تظهر في زيزان الاقاليم الحارة كما تظهر في زيزان الاقاليم المعتدلة وفي الجزائر الانكليزية وحدها على فيتها ٣٠٠٠ نوع منها

ثانياً ان دارون كان مثلي مغرمًا بجمع الاشياء الطبيعية حباً بجمعها كما صرح بذلك لا للتدقيق في درس تراكيبها ظاهراً وباطناً او رغبة في رؤية ما ينها من الاختلاف كما اقول انا ولم يظهر هذا الاختلاف لاول نظرة . فهذا الامر السخي الصيني علي ما يقال الذي يُنظر فيه الى الظواهر فقط ويستخف به لانه ليس من مطالب العلماء المدققين هذا الامر هو الذي قادنا الى النظر في مسألة تولد الانواع لان الطبيعة تميز بين انواعها بهذه الصفات الظاهرة التي هي اختلاف في الشكل او في نية الزوائد بعضها الى بعض فيتاز بها النوع الواحد عن الآخر امتيازاً واضحاً يتبعه غالباً اختلاف في الحركات والامادات . وكثيراً ما يسهل الفرق بين نوعين متماثلين بما بينهما من الاختلاف في الوانها وتقوسهما

ويرى المرء في البحث عن هذه المميزات واكتشاف ما لا يتنظر اكتشافه منها بين الحشرات المتشابهة لدة تفوق الوصف . واذا كان ميالاً الى التطفل مثلي ومثل دارون اضطر الى البحث عن اسباب ما يراه اي عن كيفية حدوث هذه التغيرات الكثيرة والغاية منها

ثم اتفق لنا كليتنا ان صحنا في الارض لشاهدة الطبيعة وجمع الاثلة الطبيعية وكانت سياحتنا كليتنا في اعنى البلدان بالموجودات الطبيعية فاضطررنا ان نلثت الى ما في الكائنات الحية من التغيرات وما يلابسها من تغير البقاع والاقاليم فزادت رغبتنا في البحث عن كيفية تولد انواع الحيوان والنبات وصارت هذه الرغبة شغلتنا الشاغل فصرنا نفكر في هذا الموضوع نهائياً ولبلاً

ولما استلأ ذهننا بهذه الامور اتبنا كلانا الى كتاب ملن في الكان وانظرنا الطبيعية التي تمنع زيادتهم حتى تبقى اسباب الميثة كافية لم فأنرفينا كليتنا تأثيراً واحداً اي قادنا الى التفكير بان هذا الجهد يقضي ببقاء الاصلم او الانسب للبقاء وما يستحق الذكر ان دارون قرأ هذا الكتاب بعد رجوعه من سياحته بستين وانا

قرأته قبلما سمحت ولما كنت في سياحتي خطرت معانيه بيالي وأرشدتني الى هذا الامراي بقاد  
الاصح في الجهاد لاجل اليقاه

وقد كنا كلانا في سياحتنا في سعة من الوقت للبحث والتفكير في ما يقع تحت نظرنا  
وعندي ان هذا ايضا كان من اتوى الاسباب التي اوصلت بحثنا كلينا الى نتيجة واحدة  
وهذه المشابهات بيننا في كثير من الامور العقلية والاحوال الخارجية التي قادتنا كلينا  
الى التفكير في موضوع واحد على صورة واحدة تفسر لنا كيف لم يوفق احد من معاصرينا  
الى هذا الحل البسيط لمألة من اعظم المائل فان روبرت تشيموس وهريوت سبنسر وهكلي  
كانوا كلهم من كبار العقول الواسعي الاطلاع الكثيري البحث والتقيب ولكنهم لم يكونوا  
مثلنا يالين بالقطرة الى جمع الحيوانات والنباتات والبحث عن مميزاتهم وكلمهم والسر تشارلس  
ليل العالم الكبير معهم عكسرا على البحث في بعض المواضيع العلمية نثقت كل عقولهم وسرمتهم  
من البحث في غيرها . وكذلك العلماء الذين سبقوا دارون الى البحث في هذه المواضيع لم تكن  
معارفهم فيها كافية ولا جمعوا من موادها الشيء الكثير كما جمع هو ولا كانت رغبتهم شديدة  
مثل رغبتنا ليروا ما رآه

والآن اعود الى ما يخصني في هذا البحث فاقول اني وصلت الى هذه النتيجة من عهد  
طويل وهي انه ما من احد يستحق ان يمدح او يذم لاجل خاطر خطر له ولكنه يمدح او يذم  
بحسب النتائج التي انتجها من ذلك الغلط لان الغواطر والآراء ليست من الاعمال الخاضعة  
للارادة لانها تخطر لنا وقتا فلم كيف تخطر ولا من اين تأتي ومنى خطرت لنا وتقلت منا  
تمذر علينا صرفها عنا او تغييرها بارادتنا ولذلك يحسن ان يكون الناس احراراً في آرائهم  
وخواطرهم لا يرغبون فيها بمدح ولا عنها بدم

ولكن الاعمال التي تنتج عن الآراء هي التي نستحق المدح او اللم لانها خاضعة لارادة  
صاحبها وبها يعلم ما اذا كانت آراؤه صائبة فتتبع او طائفة فتتبع

ولذلك فاني اقبل اكليل الحمد الذي كلفتموني به الان لانه خطري يالي خاطر جعلني  
انته لناموس هنام الاصح بل لانكم نظرتم الى عمالي التي عملتها لايضاح هذا اناموس  
وتحقيقه واضهار ما ينطبق عليه والتوسع في ذلك ولو خالفت فيه عملي وصديقي تشارلس دارون